الا أن ١٩٦٧ حطمتنا نحن أنفسنا ووضعنا في ضوء جديد. ففي ذلك العام أصبح أكثر من نصف شعبنا يعيش تحت الحكم الاسرائيلي ، وصار الفلسطينيون « يهود اليهود » * ولكننا على عكس اليهود لم نثر في نفس العالم العربي شيئا من الشفقة او الرحمة . ان يعود اليهود الى « وطنهم » فذلك مشهد مثير يدعو الى الاعجاب والدعم . بينما ان نفقد نحن وطننا فذلك امر لا اهمية تذكر له . وفجأة رأينا مكانتنا في أعين العالم « المتمدن » : اننا نوع ادنى من الانسانية يعيش خارج التاريخ ، اننا الهنود الحمر الجـدد والزنوج لاسرائيل .

وكانت الحالة الاسوأ هي حالة فقرائنا ــ عمالنا وفلاحينا . اما الطبقة العليا ــ ملاكو الاراضي وكبار التجار والفئات المتوسطة والمتوسطة الدنيا ــ فقد تدبرت امورها بشكل او اخر . في ظل الحكم الاسرائيلي تواطأت هذه الطبقة مع الحكام اليهود وخلـدت الى السكينة . أما في البلدان المحيطة بفلسطين فقد كانت هـذه الطبقة من الفلسطينيين قد دبرت امورها المعيشية واندمجت في حياة بيئتها الجديدة . أما الشعور بفقدان الوطن فقد عبر عن نفسه عند هذه الطبقة في صورتين : صورة « مادية » تنعكس في روايات عن الغنى والاملاك التي خلفوها وراءهـم ، وصورة « عاطفية » تنعكس في وطنية بلاغية مجردة عن الالتزام أو العمل السياسي الجاد .

ان الاوضاع الجديدة التي عاش في ظلها الفلسطينيون غيرت القليل من العلاقات الطبقية القديمة . لقد كانت البرجوازية والبرجوازية الصغـيرة بالنسبة للفلاحين والعمال غير المهرة الذين اقتلعوا من وطنهم تمثل طبقات مالكة ومستغلة . ولم يتغير شيء في هـذه العلاقة لا في ظل الاحتلال الاسرائيلي ولا في البلـدان المحيطـة باسرائيل . واعتبرت الطبقات العليا الظروف الرهيبة التي عاشتها الجماهير الان ، « طبيعية » مثلما كـانت الظروف السابقة . ان عيش الجماهير الفلسطينية على الحسنات الدولية واستغلالها كيد عاملة رخيصة بواسطة مغتصبي أرضها لم تكن الا امتدادا فقط للاستغلال والبؤس السابقين على يد الطبقات البرجوازية والاقطاعية الوطنية . وبمعنى معـين تطابق افق رؤيا الطبقات الفلسطينية المسيطرة وأفق رؤيا المحتل الاسرائيلي . لقـد استغل الجانبان الجماهير الفلسطينية وعانت هذه الجماهير من استغلال الجانبين عـلى حد سواء .

وكشفت هزيمة العام ١٩٦٧ ايضا افلاس النظام الاجتماعي والسياسي القائم ، وحطمت سيطرة الايديولوجية القديمة مفسحة المجال بذلـك لبروز منظور راديكالي جديد . فقد اخذ الفلسطينيون المنضوون تحت لواء حزب البعث وحركـة القوميين العرب والحزب السوري القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي والاخوان المسلمين ينظرون الى الامور بطريقة مختلفة . واخذت الشعارات القديمة التي ترعرعت في ظل معاناة اجيال ثلاثة من البورجوازية العربية وطموحاتها تفقد معناهـا . وخضع المجتمع الان ككـل ، بقيمه ومؤسساته وتنظيمه السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، لنقد سريع وغاضب .

ومع انهيار تبريرات الهزيمة اصبح القول بالحاجة الى تحول جذري في المجتمع العربي يتخذ معنى عينيا معينا . وهذا الادراك مثل بداية أول تغير خطير في وعي هذا الجيل . ولكن نضوج الادراك الراديكالي يتطلب تجاوز مجـرد اطلاق التعميمات . الا ان هذا الوعي الجديد افتقر الى الاسس النظرية الضرورية للتحليل الشامل ، كما افتقر ايضا الى القدرة على الخروج ببرنامج وستراتيجية واضحة تنتظم حولهما القوى الاجتماعية الجديدة . وهنا ظهر التشوش الموضوعي في البيئة الاجتماعية في شكل الوعي ذاته .

ان السعي منـذ العام ١٩٦٧ وراء مفهوم ثوري ادى الى ظهـور أدب ثوري واسع

* على حد تعبير راشد حسين في احدى قصائده .